العرب
السبت 2019/12/21
السنة 42 العدد 11565

«ممالك النار» يثير غضب الأتراك من قراءة مغايرة للنسخة العثمانية

تجميل التاريخ مسرحية يائسة لشرعنة التدخلات العسكرية في المنطقة

مـرة أخرى يتجنّـد النظام التركـي لمعارضة أي قراءة سياسـية أو فنية أو تاريخيـة جريئة تضـع التاريخ العثماني تحت مجهـر النقد أو تحاول تصويب مغالطات دأبت على تسـويقها أبواق الدعايـة التركية. فكان بث بعض الحلقات المحدودة من مسلسـل "ممالك النار" فرصة جدية للوقوف علـى تضخم "الأنا" لدى الأتراك بعدما أثار هذا العمل الفني موجة غضب تركية رافضة لكل من يحاول إعادة ترتيب الأحداث وفق ما يحفظه التاريخ فعلا وليس وفق ما يسـوق له النظام التركي الذي لا يريد لأحد أن يخوض أو يناقـش عقودا من تزييـف التاريخ المضخم للإسـلام التركي والمرذل للتاريخ العربي الإسلامي.

عمل فني يفضح تزييف التاريخ

أنقـرة – يقابـل الأتـراك أي قراءة مختلفـة للتاريـخ العثمانـي بحملات إعلاميـة غاضبـة وهجوم علـى الجهة التـي تقـدم تلك القـراءة كما لـو أنها قـد اخترقت محظـورا دوليـا أو نصا دينيـا، وهذا مـا ظهر بأكثـر جلاء في التصريحـات الأخيـرة للمسـؤولين الأتراك في قضية الأرمن.

ويتخـوف الأتـراك مـن أن تتحول إبادة الأرمن من مجـرد مواقف معزولة يثيرها هذا المـؤرخ أو ذاك، أو تحركها دوائر أميركية أو فرنسـية كورقة ضغط علـى تنطـع أنقرة فـي ملفـات تخص علاقتهـا بالناتو أو التمدد الإقليمي في سـوريا والعراق أو ليبيا واسـتهداف الأكـراد كقومية تاريخية تحت مسـوغ "الحـرب على الإرهـاب"، إلـى محاكمة للتاريخ العثمانـي والمطالبات المتعددة بالاعتـذار عن وقائع تاريخية واتهامات لها بارتـكاب مجازر في دول سـبق أن سيطرت عليها وسـرقت خيراتها، وهو مـا يعني فتح ملـف الاحتـلال التركي ومـا قد يترتب عليه من قضايا ودعوات تعويض كبرى.

> تركيا تحاول أن تفرض واقعا شبيها بمعاداة السامية، تحت مسوغ «معاداة العثمنة»، يتيح لها أن تمارس الضغوط على أي جهة تشكك في مرحلة ما من تاريخها العثماني

وتقر تركيـا بأن الكثيـر من الأرمن الذين عاشـوا فـي عهـد الإمبراطورية العثمانية لقوا حتفهم في اشتباكات مع القـوات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، لكنها ترفض الإقرار بسقوط هذا العدد الكبير من القتلى أو أن القتل كان منهجيا ويمثل إبادة جماعية.

ويقـول متخصصون في التاريخ إن تركيـا تحاول أن تفرض واقعا شـبيها بمعاداة السامية، تحت مسوغ "معاداة العثمنة"، يتيح لها أن تمارس الضغوط الشـديدة على أي جهة يمكن أن تشـكك في مرحلة ما من تاريخها العثماني ولو مـن خلال إعادة قراءة ذلـك التاريخ في دراسات تاريخية أو في أفلام سينمائية أو مسلسـلات تاريخيـة مثل مسلسـل "ممالك النـار" الذي بات يتعرض لحملة إعلاميـة ضخمـة مـن وسـائل الإعلام التركـي أو مـن "مواقـع صديقـة" في المنطقة العربية.

«ممالك النار» يحرق الأتراك

يريـد الأتـراك فـرض النسـخة العثمانية مـن التاريخ كأمر واقع ومنع الآخرين، شـركائهم في نفـس التاريخ، من تناول وجهـة النظر الأخرى، خاصة العرب الذيـن كانوا من أكثر الشـعوب ضـررا من النفوذ العثمانـي الذي امتد لقـرون واضطـروا إلى خـوض حروب بالوكالـة لفائدتهـم، فضـلا عـن أن وكلاءهم المحليين تسببوا بشكل مباشر في اسـتقدام الاسـتعمار الأوروبي إلى المنطقة.

ورغـم أن مسلسـل "ممالـك النار" محدود الحلقـات، والوحيد الذي وضع علـى عاتقه وضـع التاريـخ العثماني تحـت مجهـر النقـد، فإنه أثـار موجة غضب عارمة في تركيا لأنه دخل منطقة يريد الأتراك أن تظل خاصة بهم، من ذلك أن المسلسـلات التركية تضخم الإسلام التركـي التاريخي بينما تـرذّل التاريخ العربـي والإسـلامي الآخـر، وتظهـر الأتراك في صورة الأنبياء الأتقياء فيما العرب وملوكهـم وأمراؤهـم وقبائلهم خونة ومتقاعسون عن خدمة الدين.

وتكفي إطلالة على الحلقات الطويلة المملة لمسلسـل "قيامة أرطغـرل" الذي يتغنى بـه الأتراك ليقف المشـاهد على بناء تاريخ على المقاس يتم فيه تبييض جرائم القبائل التركية وتحويل غزواتها ومجازرها كجهاد فيما تتم شيطنة الأمم والأديان الأخرى التـي ينتمي إليها من وضعهم المسلسـل كخصـوم تاريخيين للقبائل التركية.

العثمنة الجديدة

يتسـاءل متابعو المسلسـل إن كان يجـب على فرنسـا أو أي دولـة تنتمي إلـى الفضـاء المسـيحي حاليـا أن تحتج على تشـويه التاريخ المسـيحي كمـا تفعل وسـائل إعلام تركيـة حاليا لمواجهـة التأثيـر المحـدود لمسلسـل "ممالك النار" خوفـا من نجاحه وظهور موجـة جديدة من المسلسـلات العربية التـي تناقـش التاريـخ العثمانـي في الشرق العربي وشـمال أفريقيا وتعيد كشـف مخلفات الاحتلال علـى الثقافة العربية.

ولم يكـن المسلسـل العربي "ممالك النار" مهتما بالهجـوم على تركيا بقدر اهتمامه بإثارة الأسـئلة لدى الشـباب العربـي الـذي تسـيطر عليـه صورة الماضي ويريد استنساخها ولو بتسليم رقاب العرب للأتراك والإيرانيين بأثواب الماضـي لإعادة بنـاء حاضر تابع تحت عنوان الخلافة أو الأمة الإسـلامية، في عناوين تشـرعن التدخـلات الخارجية باسم الدين.

ونشـرت وكالة الأناضول الرسـمية التركية حوارا مع المؤرخ التركي محمد مقصـود أوغلو، مؤلف كتـاب "التاريخ العثمانـي" الـذي تُرجـم إلـى العربية والإنجليزية والألبانيـة ركزت فيه على خطر "ممالك النار".

ورغـم أن "المؤرخ" اعتـرف بأنه لم يشـاهد المسلسـل ولا ينوي مشاهدته، فإنه فتح النار عليه وربطه بالاستشراق الغربـي، ومحاولـة التشـكيك فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة التـي امتـد حكمها لأكثر من ستة عقود.

ونقلـت الأناضـول عـن مقصـود أوغلـو أنـه لم يشـاهد المسلسـل ولن يفعـل، مضيفـا أنـه "إذا كان المقصود من الاسم بأن السـلاطين حكموا بالنار أقول نعم إن حكمهـم كان نارا لكن على أعداء الإسلام".

وأبـدى اسـتغرابه من "قيـام دول بالعالـم الإسـلامي بتشـويه صـورة العثمانيـين" فـي وقـت "ينصـف فيه كتاب غربيون كالبروفيسـور ستانفورد شـو التاريـخ العثمانـي، فـي كتابـه تاريخ الإمبراطوريـة العثمانية وتركيا الحديثة".

عمـد "المـؤرخ" إلى إرجـاع العداء التاريخـي للعثمانيـين و"إنجازاتهـم وحكمهـم" إلـى أنـه كان "قائمـا على الشـريعة الإسـلامية"، وهـو تبريـر يحـاول أن يضفـي القدسـية علـى التاريخ العثماني ليبـدو أي نقد يوجه لـه، ولداعميه مـن "العثمانيين الجدد" وأولهـم الرئيس رجب طيـب أردوغان، وكأنه اسـتهداف للديـن والقرآن تماما مثلمـا تفعـل الحـركات الإسـلامية المتشددة مثل جماعة الإخوان أو القاعدة وداعش، كلها تنظر إلى الماضي على أنه مقـدس ولا يجب التجريـح فيه وتحث على إعادة استنسـاخه في حياة العرب والمسلمين.

ولفـت مقصـود أوغلـو إلـى أن محـاولات التحريـف التـي تعرض لها التاريـخ العثمانـي بـدأت من الاسـم عبـر تبديـل كلمـة "الدولـة العليـة العثمانيـة" وجعلهـا "الإمبراطوريـة العثمانيـة"، واصفـا تحريـف الاسـم بأنـه "محاولة من الغـرب لإبراز الدولة العثمانية كقوة اسـتعمارية وإمبريالية مثلهم".

وتعمـل تركيـا على إحيـاء تراثها الاستعماري الطويل من خلال مسلسلات متعددة رصـدت لها إمكانيات كبرى في محاولة لتبييض ذلك التاريخ من ناحية، وخاصة لجعل التمدد العثماني شـمالا وشـرقا وجنوبا نموذجا مغريا للأتراك الجـدد الذيـن يخططـون للعـب نفس الدور وبأشكال مختلفة حاليا من خلال إعادة فرض النفوذ التركي على المناطق الواقعـة تاريخيـا تحت نفـوذ الدولة العثمانية من خلال التدخل العسـكري المباشـر كما في سوريا وليبيا وقبرص، أو مـن خلال إحيـاء الآثـار العثمانية وإعادة ترميمها والتسـويق للمشـترك الثقافي والديني.

كمـا تضـع الدولـة العميقـة ذات الهوية العثمانية التي أسسها أردوغان وحـزب العدالة والتنميـة كل علاقاتها وتدخلاتها تحت مسـميات لديها علاقة بالتاريخ مثـل إحياء نفوذهـا في دول البلقـان، حيث تعيد أنقرة إحياء المعالم التاريخية والمساجد هناك.

والمفـارق أن تلـك التدخـلات ذات النـزوع الاسـتعماري ترتبط وبشـكل آلي بأحداث الماضي لتكتسـب شـرعية في الشـارع التركي، من ذلـك أن وكالة الاسـتخبارات التركية كانـت على علم تفصيلـي بمواقع جميع القـرى والمدن التـي يسـيطر عليها داعش في شـمال غرب سـوريا، وتقول تقاريـر غربية إن هذا التمركز كان بتنسـيق ومتابعة من تركيـا الذي تربطه بمعركـة مرج دابق، وهي المعركـة التي وقعت قبل خمسـة قرون، وسطّرت بداية هيمنة العثمانيين على المنطقة العربيـة، إثر هزمهم لدولة المماليك.

توظيف الماضي

تتحـرك المؤسسـات التركيـة التي تعنى بالديـن والتراث (وقـف الديانة، ومؤسسـة تيـكا مترامية النفـوذ) في كل اتجـاه لإعـادة ترميـم المسـاجد والآثـار العثمانيـة لإضفـاء شـرعية علـى التدخـل التركي الراهـن في دول نفوذهـا التاريخـي، وهو تدخـل ناعم لا يصطـدم بمشـاعر النـاس، وعلـى العكس فهو يتقرب منهم ويبدو في نظر الكثيرين "تدخلا خيرا" خاصة في دول البلقان.

وينظر الرئيـس التركي رجب طيب أردوغان إلى منطقة البلقان، التي كانت تحت سـيطرة الإمبراطورية العثمانية، باعتبارهـا منطقـة نفوذ وفنـاء خلفيا ويسـعى إلى الاسـتثمار فيها سياسيا وثقافيا وحضاريـا ودينيا واقتصاديا، لتعويض تراجع أدوار تركيا في الشرق الأوسـط ولاسـتغلالها فـي أزماته مع أوروبا.

كمـا يراهـن الأتـراك علـى ورقـة المعالـم الأثريـة والقصـور والمسـاجد العتيقة لاستعادة أمجاد العثمانيين في الجزائر، واسـتثمار تسـاهل السلطات مـع هـذه الأنشـطة لتوسـيع دائـرة النفوذ التركي في البلاد، والأمر نفسـه فـي تونس وبلـدان عربية أخـرى مثل الأردن، حيـث يتسـلل النفـوذ التركي بشكل سـلس وهادئ وبعيدا عن غضب النخب.

بعد صفعة كوالالمبور أردوغان يستفيق من وهم زعامة المسلمين

كوالالمبـور – كشـفت قمـة ماليزيا الإسلامية عن فشل الرئيس التركي رجب طيـب أردوغان في تحقيـق أحد أحلامه السياسية منذ اعتلائه السلطة بأن يكون زعيما معترفا به للعالم للإسلامي.

وأجبر فشل قمة كوالالمبور أردوغان على شـن هجـوم واسـع علـى المملكة العربية السعودية وذلك في أعقاب الفشل الذريـع الذي منيت به أحلامه العثمانية الطامحة لقيادة العالم الإسلامي.

وكان أردوغـان يعـول علـى القمـة الماليزيـة كثيـرا لتحقيـق مطامعه في الزعامـة عبر تأسـيس مملكة إسـلامية متحدة مع كل من باكستان وماليزيا.

وفـي تصريـح أدلـى بـه الرئيس التركـي، الجمعـة، بمناسـبة القمـة الإسلامية التي اسـتضافتها كوالالمبور وتُختتم السـبت، وغابت عنها باكستان وإندونيسـيا، زعم أن باكستان تعرضت لضغـوط سـعودية من أجـل ثنيها عن المشـاركة في القمة الإسلامية بالعاصمة الماليزية كوالالمبور.

وأشـار أردوغـان إلـى أنّ مثل هذه المواقـف التـي تصدر عن السـعودية والإمارات ليست الأولى من نوعها.

وعن الضغوط التي مارستها السعودية على باكستان لمنع مشاركتها في قمة كوالالمبور الأخيرة، قال أردوغان إن السعوديين هددوا بسحب الودائع السعودية من البنك المركزي الباكستاني، كما هددوا بترحيل "4 ملايين باكستاني يعملون في السعودية" واستبدالهم بالعمالة البنغالية. وأوضح أن باكستان التي تعاني من أزمات اقتصادية كبيرة، اضطرت إلى اتخاذ موقف بعدم المشاركة في القمة الإسلامية، في ظل هذه التهديدات والضغوط.

كما زعم الرئيس التركي أن جاكارتا، من جهتهـا، كانت تفكر فـي بادئ الأمر بإيفاد نائب الرئيس الإندونيسـي، قبل أن تتراجع عن هذا القرار.

وشـدد علـى أن القضيـة "قضيـة مبدأ" في الأسـاس، فعلى سـبيل المثال السعودية لا تقدم مساعداتها للصومال، "لكن الصومال أظهر موقفا ثابتا، بالرغم من الأوضاع الصعبة التي يعاني منها" ولم يذعن لضغوط الرياض عليه لتغيير مواقفه مقابل تلقي مساعدات.

وأضـاف "أبوظبـي كانت سـتقدم هـي الأخـرى علـى بعـض الخطـوات (الإيجابية) في الصومال، لكنها تراجعت عنهـا لاحقا" لعدم اسـتجابة الصومال لمطالبها.

وفـي ذات الصدد، بثـت وكالة أنباء الأناضـول الناطقة بلسـان حـال حزب العدالة والتنمية الإسلامي التركي الذي يرأسه أردوغان، تقريرا مطوّلا، الجمعة، بعنوان "باكسـتان.. انتقـادات لعمران خـان" لانسـحابه مـن قمـة كوالالمبور الإسلامية.

وقالـت الوكالة إنّ انسـحاب رئيس الـوزراء الباكسـتاني، عمـران خـان، المفاجئ من "القمة الإسـلامية المصغرة" بماليزيـا، أثـار انتقـادات مـن قبـل سياسـيين وخبراء، وصفـوا قراره بأنه "فشـل دبلوماسـي داخلي"، فيما أشـار صحافيون وإعلاميون إلى أنّ انسـحابه كان "بنـاء علـى أوامر" مـن ولي العهد محمد بن سلمان.

والثلاثـاء، أكـد وزيـر الخارجيـة الباكسـتاني، شـاه محمود قريشي، أن إلغاء خان مشاركته في القمة جاء بسبب "تحفظـات" مـن السـعودية والإمارات بخصـوص القمـة، وفقـا لمـا ذكرتـه الأناضـول نقلا عـن صحيفة "دوان" المحلية.

وفـي اليوم نفسـه، ذكرت وسـائل إعـلام محليـة نقلا عن مصـادر بوزارة الخارجيـة، أن خـان أخبـر الرئيـس التركـي، بقـراره عدم المشـاركة في قمة ماليزيـا، أثنـاء لقائـه به علـى هامش مؤتمر اللاجئين العالمي، في جنيف.

وغـادر الرئيس التركـي كوالالمبور، عائدا إلى تركيا بعد مشـاركته في القمة الإسـلامية المصغـرة دون أن يحقق ما يصبو إليه من إجماع على كونه الناطق الرسمي باسم الأمة الإسلامية.

ورافـق أردوغان إلى هـذه القمة كل من وكيل رئيس حـزب العدالة والتنمية الحاكم نعمان قورتولموش، ونائب رئيس الحزب جـودت يلمـاز، ورئيـس دائرة الاتصال في الرئاسـة التركية فخرالدين ألطون، والمتحدث باسم الرئاسة إبراهيم قالن.

وفي محاولة لإظهار نفسـه كمدافع أول وناطق رسـمي أوحد باسـم العالم الإسـلامي وقـع أردوغان مـع ماليزيا، الخميـس، علـى مذكـرة تفاهـم حول مكافحـة المواقف المعادية للإسـلام في العاصمة الماليزيـة كوالالمبور، تتضمن تأسيس مركز اتصالات في إسطنبول.

وتحمـل المذكـرة اسـم "مشـروع التواصـل لمكافحـة الإسـلاموفوبيا"، ويتضمن تنفيذ مشـروع اتصال مشترك لمكافحـة المواقـف المعاديـة للإسـلام، وتأسـيس هيكليـة مشـتركة فـي هذا الإطار.

ويهـدف المشـروع إلـى مكافحة الأحـكام المسـبقة مـن النواحـي المؤسسـية والهيكليـة والخطابية، والتعصب ضد الإسلام والمسلمين.

ومن بين أهداف المشـروع الذي تـروج له أنقرة أيضـا، القضاء على المفاهيم السلبية عن الإسلام، وزيادة الوعـي العالمـي بالقيـم الإسـلامية الحقيقيـة، وتوفيـر منصـة لتبادل المعلومـات التـي تهـدف إلـى دعم المسـلمين ضـد المواقـف المعاديـة للإسـلام، وتعزيـز العلاقـات بين العالـم الإسـلامي والغـرب مـن أجـل الحد مـن الصـور النمطية والمعتقدات الخاطئة.

كمـا يهـدف إلـى زيـادة الوعـي بالتسـامح والتعايش والعلاقـات بـين الثقافـات، والتحول تدريجيا إلى علامة عالميـة في مكافحـة المواقف المعادية للإسلام.

وبحسـب المذكـرة، سـيتم تأسـيس مركـز اتصـالات فـي إسـطنبول التركية يكـون بمثابة مركز قيادة المشروع بأكمله.